doi.org/10.52866/esj.2020.03.16.05

دلالة حروف المتشابه القرآني في ضوء النظرية التوزيعية الاستبدالية

د. بلال عبد الستار مشحن
الجامعة العراقية - مركز البحوث والدراسات الإسلامية (مبدأ)

المستخلص

تتكرر بعض الحروف في النص القرآني المتشابه، ويبدل بعضها من بعض، وهذا الإبدال له أسبابه التي يقتضيها السياق، فلا يمكن أن نضع حرفًا مكان آخر في آيات القرآن الكريم؛ لأن لكل حرف موضعه الذي لا ينوب عنه آخر، وهذه الدراسة تقوم على استقصاء هذه الحروف في آيات المتشابه وجمعها ودراستها وفقاً للنظرية التوزيعية الاستبدالية، وتصنيفها على ترتيب تلك الحروف بحسب أنواعها، سواء أكانت متكافئة في عددها أم غير متكافئة، وكذلك تقسيمها بحسب عدد حروفها فمنها الأحادي والثنائي والثلاثي، فضلًا عن ملاحظة دقيقة لتوزيعها مع مثيلاتها كالأحادي مع الأحادي، والأحادي مع الثنائي والثلاثي، والثنائي مع الثلاثي، وختمت الدراسة بأهم النتائج والتوصيات التي تمخضت عن هذا البحث.

الكلمات المفتاحية : المتشابه القرآني، النظرية، التوزيعية، الاستبدالية

The significance of the letters of the Qur'anic similarity in the light of the distributive theory of substitution

Dr. bilal abd alsitar mushhin

Abstract:

Some of the letters in the Qur'anic text are similar and interchangeable, and this substitution has its reasons for the context. We can not place another place in the verses of the Holy Quran because each character has its own place, and this study is based on a survey of these letters In the same verses, collect and study them, and classify them on the order of those letters according to their types, whether equal in number or unequal, as well as their division according to the number of letters, including mono, binary and triangular, as well as a careful observation to distribute with the same as mono with mono, With triple, and x The study was the most important findings and recommendations that emerged from this research.

the Qur'anic similarity , theory, distributive, substitution

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن وشرفنا بتلاوته وتجويده وتحريره، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله الأبرار وصحبه الكرام، وبعد :

فإنَّ صرف العناية إلى خدمة كتاب الله من أعظم القرب والسعي الناجح، وأحسن ما يدخره المرء ليوم يتبين فيه الخاسر والرابح، فلفت نظري تلك الحروف التي تتكرر في آيات المتشابه، وكيف يبدل بعضها في الآيات، ولا بد لهذا الإبدال من عِلة تستنبط من سياق الآيات، فشرعت في جمعها وإحصائها معتمداً بعد الله على ما كتبه العلماء الأوائل من أهل الصنعة كالخطيب الإسكافي (420هـ)، وعلم الدين السخاوي (643هـ)، وابن الزبير الغرناطي (708هـ) وغيرهم من العلماء. فتوكلت على ربي في خوض هذا العلم، وحسبي أني حاولت جاهداً إبراز هذه الحروف بما تستحقه من إفراد التأليف فيها، وقسمت دراستي على مبحثين: درست في المبحث الأول : الحروف المتكافئة، وجعلته موزعاً على ثلاثة مطالب : بحثت في المطلب الأول متشابه الحروف الأحادية، وبيّنت في المطلب الثاني متشابه الحروف الثنائية، وخصصت المطلب الثالث لمتشابه الحروف الثلاثية، أمّا المبحث الثاني فبسطت فيه القول عن الحروف غير المتكافئة، وجعلته على مطلبين، درست في المطلب الأول متشابه حرف أحادي مع حرف ثنائي، وعرضت في المطلب الثاني متشابه حرف أحادي مع حرف ثلاثي، أمّا الخاتمة فذكرت فيها نتائج دراستي في هذه الظاهرة. والذي دعاني إلى الكتابة فيه هو عدم وجود مؤلف يفرد حروف المتشابه في القرآن بالدراسة، فأردت من بحثي هذا أن يكون مفتاحاً لمن أراد التبحر في علم متشابه الآيات، وربّما قيض الله من صنف في هذه الظاهرة على غير ما جئت به. وكانت مصادر البحث متنوعة، يأتي في مقدمتها كتب المتشابه اللفظي وتعليله، وكتب التفسير، وكتب علوم القرآن ومعاني الحروف.

والله اسأل الصدق في القول والإخلاص في العمل، وأن يحقق بهذا البحث النفع العميم، وأن يعظم به الأجر بقدر ما لي فيه من حسن القصد ونيل الهدف والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

التمهيد

التعريف بالنظرية التوزيعية الاستبدالية :

من النظريات الحديثة التي تقوم على أن الكلمة ممكن أن ترد في مقامات مختلفة وسياقات متعددة، ومن ثمَّ تتنوع المعاني والدلالات التي تعبر عنها الكلمة . ويشدد علماء هذه النظرية على ضرورة الصحة النحوية للجملة، للقول بأنّ الجملة كاملة المعنى، حيث ينبغي مراعاة توافق الوقوع بين مفردات الجملة، مع قبول أبناء اللغة لهذا المعنى وصحته لديهم، وهذا ما يطلق عليه التقليدية (a cceptability) وثمة مميزات لهذا الاتجاه الرصفي في النظرية يتمثل في عدة أمور منها[1]:

1 – أنها تسهم في تحديد التعبيرات (idoms) ، حيث يمكننا الحكم بأن التجمع الذي تتوافق فيه ألفاظ معينة، هو بمثابة وحدة معجمية يطلق عليها : تعبير .

2 – تحديد مجالات الترابط والانتظام لكل كلمة، ومن ثمَّ تحديد استعمالاتها في اللغة مما يساعدها في الكشف على ما يمكن عده من قبيل الترادف في اللغة أولاً، حيث يندر أن تأتي الكلمة المترادفة في لغة أخرى في السياق نفسه، أو التجمع

(1) ينظر : علم الدلالة والنظريات الدلالية الحديثة : 70 .

اللغوي المماثل .

3 – تتسم هذه النظرية بالدقة والموضوعية، فالمعيار الشكلي للرصف، يعد معياراً حاسماً، لأنه أكثر موضوعية ودقة وقابلية للملاحظة .

التوزيعية الاستبدالية وعلاقتها بأسلوب القرآن الكريم :

ممّا لا شك فيه أنَّ القرآن الكريم هو أرقى أساليب اللغة العربية، لذلك ورد فيه السياق القصصي كثيراً، وتتكرر هذه القصص في القرآن بما لا يدعو للملل ولا يشعر قارؤه بالتكرار النحوي للجملة نفسها . لذا نجد أن تحديد هذه الكلمات لا يخرج عن السياقات التي تحدد دلالة اللفظة وهي: السياق العاطفي (context emotiohal)، وسياق الموقف (situanol conteyt) ، والسياق الثقافي (cultueyl cotext). وقد أتت هذه السياقات جميعها في آيات المتشابه، وهو ما يمكننا عزوه الى سياق الموقف في سياقات متشابه تماماً من حيث النظم القرآني . ومما يدعو الى التفكر فيها هو أختلاف توزيعها وإبدالها في هذه السياقات، فهل من الممكن أن يحل بعضها محل الآخر، أم أنه من غير الممكن ذلك ومن خلال دراستنا هذه تبين لنا أنه لا يمكن أن نبدل حرفاً مكان آخر وإن تشابه الرصف النحوي واللفظي للسياق[1].

وذلك لأنّ الموقف الذي ترد فيه هذه الجملة ينبني على ما قبلها وما بعدها، فتحدد دلالة الحرف من خلال هذا السياق وهذا لا يعني عدم ورود السياقين الآخرين، إذ أنهما وردا كثيراً في الأسلوب القرآني إلا أننا قيدنا بحثنا هذا بالحروف لذا كان سياق الموقف هو من يحدد دلالة هذه الحروف داخل النص القرآني .

المبحث الاول

الحروف المتكافئة

المطلب الأول : متشابه الحروف الأحادية

1 – قال تعالى: ﴿وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ التوبة: 55، وقال عز وجل : ﴿وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ التوبة 85.

فحملت الآية الأولى على ما قبلها بالفاء، والثانية بالواو قال السخاوي (643هـ)[2] :

واقرأ (فلا تُعجبكَ) بالفاء سما

معه (ولا أولادهم) مقدّماً بالواو

وجاء في الثاني (ولا تعجبكا)

ومن تسأل به يجبكا

وذلك أنّه تعالى وصف أقوال المنافقين في كفرهم وشتى مرتكباتهم، وقرر ما هم عليه في الآية التي قبلها في قوله سبحانه : ﴿مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ﴾ التوبة 54، فأخبر عن المنافقين بما يقصدونه بأفعالهم التي يوقعونها في حالهم واستقبالهم على معنى أن يكسلوك عن الصلاة وتتكرهوا الصدقات، فإنَّ الله ليس يجازيهم بما يسرهم من أموالهم وأولادهم بل يعجل ذلك عذاباً لهم مدة بقائهم بما ينالهم من النقص في الأموال، مما أباح منه للمسلمين بالقتال وما يصيبهم في الأولاد من السبي والاستعباد، ثم عند الفراق يكون الألم على قدر محبة الأحباب[3]. هذا سوى سوء الانقلاب وما أعدّ لهم من العذاب ليوم المآب، فلمّا

(1) ينظر : المحاضرات التي ألقاها د. محمد ضاري حمادي على طلبة الدكتوراه 1997م .

(2) ينظر : هداية المرتاب 123 – 124.

(3) ينظر : مفاتيح الغيب 16/ 75.

كان الفعل الذي قبل الفاء بمعنى الشرط، صار ما بعدها في موضع الجزاء فخصت بالفاء لذلك[1]، فالكلام هنا في قوّة (لو)، بمعنى أنّك إذا عرفت أحوالهم فلا تغتر بما لديهم فتظن أنَّ ما مكانهم فيه ومنحناهم إياها من مال وولداً إحسان عجلناه لهم، « ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ المؤمنين 55-56، و ﴿إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا﴾ آل عمران: 178، فالكلام في قوة الشرط والجزاء[2]، فكان موضع الفاء أليق في هذه الآية.

أمّا الآية الثانية فجاءت متناسقة مع الآية التي قبلها وهي قوله تعالى : ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ۝٨٤ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ﴾ التوبة: 84 - 85، وكل هذا نهي له ﷺ أن يفعله وليس كالآية الأولى في ذكر مرتكباتهم وما بني عليه من نهيه عليه الصلاة والسلام، فلا يتصور فيه معنى شرط وجزاء، فلا مدخل للفاء هنا ولا هو موضعها[3]، وكذلك فإنَّ قبل هذه الآية قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ۚ﴾ (التوبة: 84)، وهذه الأفعال ماضية ومنقطعة فلا تكون شرطاً فتعقب بالفاء التي تدل على الجزاء، فعطفت الآية بعدها على ما قبلها بالواو لبطلان المعنى الذي يقتضي الفاء، ألا ترى أنّه قال: (وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ) ولا يشترط فعل من مقدمات فيعقب بذكر الجزاء، فلذلك اختلفا في الواو والفاء[4].

2 - قال تعالى : ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ هود 58، وقال في قصة شعيب عليه السلام : ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ هود 94، فعُطِفَت (لّما) على ما قبلها بالواو في هذين الموضعين، في حين خالفت قصة صالح وقصة لوط عليهما السلام، في الحرف المعطوف به هذه الجملة المصدرة بحرف الوجوب. فقيل في قصة صالح عليه السلام ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ هود: 66 ، وفي قصة لوط عليه السلام ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾ هود: 82 .

والجواب عن ذلك أنَّ آيتي صالح ولوط ورد فيهما ما يقتضي معناه أن يربط بالفاء المقتضية التعقيب، أما قصة صالح فتقدمها قوله تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ هود: 65، فكأنه قيل : فلّما انقضت، فالموضع للفاء لقصد معنى التعقيب، ومثله في قصة لوط عليه السلام: ﴿ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ﴾ هود: 81، ولا شك أن المعنى يستدعي تقدير : فلمّا أصبح، تحقيقاً لصدق الوعيد، وإعقاباً لا يتحصل بغير الفاء، فهذا يوجب خصوص الفاء بهذين الموضعين[5]، وأمّا قصة هود عليه السلام، فلم يرد فيها ما يستدعي تعقيباً بل قبلها ما يقتضي أن يعطف ما بعده عليه بالواو[6]، وذلك قوله تعالى مخبراً عن قوم هود : ﴿ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ﴾ هود: 57، ثمّ قال: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا ﴾ هود: 58، فعطف هذه الجمل بعضها على بعض بما يعطي ذلك ويناسب العطف بالواو، وعلى هذا وردت آية شعيب عليه السلام، فورد قبلها: ﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ ﴾ هود: 93، ثمّ بعد ذلك: ﴿ وَٱرْتَقِبُوٓاْ إِنِّى مَعَكُمْ﴾ هود: 93، وليس هذا ما يقتضي تعقيباً بل بابه حمل الآي بعضها

(1) ينظر : بصائر ذوي التمييز 1/ 233.
(2) ينظر : تفسير البحر المحيط 5/ 55.
(3) ينظر : ملاك التأويل 1/ 595.
(4) ينظر: درة التنزيل 108.
(5) تفسير البحر المحيط 5/ 257.
(6) ينظر : الكشاف 2/ 408.

على بعض بحرف التشريك[1]، فجاء كل على ما يناسب السياق. فضلاً عن أنَّ الغرض من معنى السياق قد حدد هذا الاستعمال للواو أو الفاء، فالحرف في قصة هود جاء بعد خروج من خبر عنه حكاية لقوله، إلى ما هو إخبار من الله عمّا كان من فعله، ألا ترى أنّه قال تعالى: ﴿إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ﴾ هود: 54، إلى قوله: ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَيَسۡتَخۡلِفُ رَبِّي قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيۡـٔٗاۚ﴾ هود: 57، أن يهلككم ويقيم غيركم مقامكم فينزل بكم اكبر الضرر ولا تضرونه شيئاً بعبادتكم غيره، ثم قال: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ﴾ (هود: 58)، فلم يتقدم تخويف يقرب ما أوعدوه به ليدل على اتصال الثاني بالأول، واقتضاء العطف بالفاء، فكان الموضع موضع الواو؛ لأنَّ المراد الجمع بين خبرين من دون ذكر ما يقلل الزمان بين الفعلين[2]، وكذلك قصة شعيب لم يدل فيها على أنّهم أوعدوا بعذاب قد أظلهم وقرب منهم، وإنّما أخبر عز وجل عن شعيب عليه السلام أنّه قال لهم: ﴿ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ﴾ هود: 93، فلم يتوعدهم بالاقتراب بل دعاهم إلى الارتقاب، فالتخويف قارنه التسويف لقوله تعالى: (سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ) فكان الموضع موضع الواو لخروج ما قبله عمّا يقتضي اتصال الثاني به، وليس كذلك الموضعان اللذان عطفا على الأول بالفاء، وهما قوله تعالى في قصة صالح: ﴿فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ ٦٥ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا﴾ هود: 65-66 وقوله في قصة لوطٌ، ﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ٨١ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ﴾ هود: 81 - 82، فكان ذلك يعقبه غير متراخ عنه فاقتضى الفاء التي تدل على التعقيب واتصال ما بعدها بما قبلها من غير مهلة بينهما[3]، قال الآلوسي (1270 هـ) : « ذكر الفاء في الموضعين؛ لقرب عذاب قوم صالح ولوط للوعد المذكور، فإنَّ بين الأولين والعذاب ثلاثة أيام وبين الآخرين وبينه ما بين قول الملائكة: (إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُ) ، والصُبح : وهي سويعات يسيرة، ولا كذلك عذاب قومي شعيب وهود (عليهما السلام)، بل في قصة قوم شعيب (عليه السلام) ما يشعر بعدم تضييق زمان مجيء العذاب بناء على الشائع»[4].

وكذلك جاء في سورة العنكبوت في قصة لوط في موضعين بالواو وهما على هذهِ السبيل، فالأول قوله بعد قصة لوط وقوله لقومه: ﴿إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨ أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقۡطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأۡتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلۡمُنكَرَۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئۡتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٩ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ العنكبوت: 28 – 30، فاستنصر عليهم ولم يتوعدهم بقرب عذاب منهم، وجاء بعده : ﴿وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ﴾ العنكبوت: 31، فخرج عما كان بين لوط وبين قومه إلى قصة هي بين إبراهيم والملائكة، لمّا أتوه بالبشرى وبإهلاك من في قرية لوطاً فنزل لوط فيما كان من محاورتهم لإبراهيم منزلة الغائب عنهم،

(1) ينظر : بصائر ذوي التمييز 1/ 251.
(2) ينظر : إرشاد العقل السليم 4/ 237.
(3) ينظر : ملاك التأويل 2/ 657 .
(4) روح المعاني 6/ 323.

وكان الموضع موضع الواو لاختلاف القصتين وخلو الأولى عما يقتضي قرب ما بين الحالين، وكذلك قوله بعده: ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا﴾ العنكبوت: 33، خبر عن مجيء رسل الله عز وجل من الملائكة إلى لوط وارتياعه لهم وفزعه لمجيئهم، وكان مجيئهم إلى إبراهيم عليه السلام مجيء المبشرين لّما قالوا: ﴿سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ﴾ هود: 69، فعطفت هذه القصة على الأولى بالواو لاختلاف موردیهما؛ وأنّه لم يكن في الأولى منهما ما يقتضي التصاق الثانية بها، فعطف عليها بالفاء[1].

3 – قال جل ثناؤه: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ﴾ القصص: 60، وقال تعالى: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ﴾ الشورى: 36.

فعطف الآية الأولى على ما قبلها بالواو، في حين عطف آية الشورى بالفاء، السبب في ذلك أنَّ الآية الأولى جاءت بعد قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُهۡلِكِي ٱلۡقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهۡلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾ القصص: 59، ثمَّ خاطب الذين أوعدهم بمثل ما أهلك به من قبلهم، وأنّه ليس لكم فيما تؤتونه في الدنيا عوض مما يفوتكم في الأخرى، لأنَّ جميع ذلك لا ينفك ممّا ينتفعون به انتفاعاً منقطعاً وإن تطاول أمده[2]، أو تتزينون به، فجميع أغراض الدنيا مستوعب بهذين اللفظين، أما ما لا يستغني عنه الحي من مأكول ومشروب وملبوس، ويرى العاقل المتعة بها قليلة وإن كانت طويلة لانقطاعها بالموت وانتهائها إلى حسرة الفوت، وأمّا ما لا حاجة به إليه من فضول العيش ممّا يتزين به من الملابس الفاخرة، والآلات الحسنة، والدور المزخرفة، والخيل والبغال والحمير ما ركب منها للحاجة إليه وما اتخذ زينة يتجمل عنه الأكفاء بها، فما كان محتاجاً إليه فهو متاع أيام قليلة وما فضل عن ذلك فهو ما يقتنى لعدة وزينة، والدليل على أنَّ الخطاب خارج على هؤلاء وإن صلح عظة لجميع الناس، التفصيل الذي جاء بعده في قوله: ﴿أَفَمَن وَعَدۡنَٰهُ وَعۡدًا حَسَنٗا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعۡنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ هُوَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ﴾ (القصص: 61)، أي يحضرون العقاب لتقدم ذكر من يعطي الثواب[3]، فلم يكن لعطف هذه الجملة على الجملة المتقدمة غير الواو، إذ لا معنى ها هنا من معاني الفاء.

أمّا الآية الثانية فقد تعلّقت بما يعدها بقوله تعالى: ﴿وَيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ﴾ الشورى: 35، أي: يغلب على ظنونهم ذلك، فإن أنجاهم الله وأعطاهم مرادهم في تلك الحال فإنّ ذلك سريع الزوال عنهم، قليل البقاء معهم، والذي أعده الله تعالى للمؤمنين خير وأبقى[4]، ثمَّ وصف المؤمنين بصفات ترغبهم في الكون عليها في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ﴾ الشورى: 37، إلى آخر القصة[5]، كما زهدهم في التمسك بالدنيا الفانية، فالمراد بما يؤتونه إنّما هو مطلوبهم من السلامة والنجاة من تلك الهلكة والأمن من أمثالها من التهلكات، وذلك عقب ما أشرفوا عليه من الغرق[6]، ولا موضع لهذا الكلام يحسن غير العطف على ما قبله بالفاء لأنّه عقب ما نالهم من المخافة بما أوتوه من الأمنة وحال السلامة إلى سائر ما لله من النعمة.

(1) ينظر : درة التنزيل 128 .
(2) ينظر : نظم الدرر 5/ 508، وإرشاد العقل السليم 7/ 20 .
(3) ينظر : درة التنزيل 191 .
(4) ينظر: ملاك التأويل 2/ 907.
(5) ينظر : بصائر ذوي التمييز 1/ 357 .
(6) ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن 11/ 154.

المطلب الثاني : متشابه الحروف الثنائية

بين لن و لا :

قال تعالى: ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٩٤ وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ البقرة: 94-95، وقال سبحانه: ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٩٤ وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾ الجمعة: 6-7 ، فتخصصت الآية الأولى بـ (لن) الناصبة، في حيت أتت (لا) النافية في آية الجمعة.

فجيء بـ (لن) في الآية الأولى لأنّها مفتتحة بشرط، عُلّقت صحته بتمني الموت، ووقع هذا الشرط غاية ما يطلبه المطيع لربّه، وهو أنَّ لهم الدار الآخرة خالصة من دون غيرهم، ووجب أن يكون ما يبطل تمني الموت المؤدي إلى بطلان شرطهم أقوى ما يستعمل في بابه وأبلغه في معنى ما ينتفي شرطهم به[1]، وكان ذلك بلفظة (لن) التي تفيد القطع والبتات، ثمَّ أكدّ بقوله: (أبداً) ليبطل تمني الموت الذي يبطل دعواهم بغاية ما يبطل به مثله. فليس بعد حصول الدار الآخرة خالصة لأمّة من الأمم مقترح لمقترح ولا مطلب لمطَّلب[2] .

أمّا آية الجمعة فإنَّ الشرط الذي عُلّق به تمني الموت ليس كما هو في آية البقرة؛ لأنَّه قال: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ أَوۡلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ الجمعة: 6، وليس زعمهم أنهم أولياء الله من دون الناس المطلوب الذي لا مطلوب وراءه؛ لأنَّهم يطلبون بعد ذلك إذا صح لهم هذا الوصف دار الثواب، فلمّا كان الشرط في هذا المكان قاصراً عن الشرط في المكان الأول ولم تكن الدعوى دعوى غاية المطلوب، لم يحتج في نفيه وإبطاله إلى ما هو غاية في بابه فوقع الاقتصار على ما لا يتمنونه وليس في لفظه معنى التأبيد، وإنّما حصل ذلك فيه بما قارنه من قوله (أبداً)، فكان الأول أوكد وأبلغ؛ لأنَّ لفظ الاسم والفعل للتأبيد ، نقل أبو حيان في تفسيره: «وإن ما قال هنا: ولن يتمنوه، وفي الجمعة ولا يتمنونه ،لأنَّ دعواهم هنا أعظم من دعواهم هناك، لأنَّ السعادة القصوى فوق مرتبة الولاية، لأنَّ الثانية تراد لحصول الأولى، و(لن) أبلغ في النفي من (لا)، فجعلها لنفي الأعظم « [3]. ولعلَّ السياق هو ما جعل استعمال الحرفين مختلف مع اتحاد الإخبار، فآية البقرة لمّا كان الوارد فيها جوابًا لحكم أخراوي يستقبل وليس في الحال منه إلا زعم مجرد واعتقاد أنَّ الأمر يكون كذلك، ناسبه النفي بما وضعه من الحروف لنفى المستقبل؛ لأنَّ (لن يفعل) جواب (سيفعل)، ولّما كان الوارد فسورة الجمعة جواباً لزعمهم أنّهم أولياء الله من دون الناس وذلك حكم دنياوي ووصف حالي لا استقبال فيه، ناسبها النفي بـ (لا) التي لنفى ما يأتي من غير تخصيص (إلا) بغير الماضي، وقد تتعاقب مع (ما) التي لنفي الحال.

و(ما) النافية المتخصصة بالحال وإن كانت هنا أنسب في السياق، إلا أنّه يفهم منها الحال على التجدد، فقولنا :ما يقوم زيد، أي: يريد ما يقوم اليوم، ولا نريد أنّه لا يقوم غداً، وهم إنّما أرادوا أنّهم أولياء مستمرون على ذلك، وأنّ تلك صفتهم في الحال وما يليه إلى آخر حياتهم، إذ ذلك هو الموجب أن تكون لهم الدار الآخرة خالصة من دون الناس، فلمّا كان زعمهم هذا ناسبه نفي دعواهم وتكذيب زعمهم بحرف أنصّ في نفى ذلك. وأنّه لا يقع منهم التمني في حالهم ولا فيما بعده أبداً. فإنَّ قوله (أبداً) وإن أحرز هذا المعنى فإنّ تأكيد ذلك أبلغ، فنفى بـ(لا) وأكد بالتأبيد، فجاء كل استعمال

(1) ينظر : إرشاد العقل السليم 1/ 132 .

(2) ينظر : درة التنزيل 13 .

(3) تفسير البحر المحيط 1/ 479 .

مناسباً للسياق الذي ورد فيه[1].

بين ما و من:

قال تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ ﴾ يونس: 55. وقال عز وجل: ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ ﴾ يونس: 66. فتخصصت الآية الأولى بـ (ما) في حين تخصصت الثانية بـ(من) .

والسبب في تخصص الأولى بـ (ما)، مجيؤها بعد قوله: ﴿ وَلَوۡ أَنَّ لِكُلِّ نَفۡسٖ ظَلَمَتۡ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لَٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ ﴾ يونس:54، فكان المعنى أنَّ النفس الظالمة إذا رأت عذاب الله لو ملكت جميع ما في الأرض لبذلته فداء نفسها، وهي تحرص على اليسير من حطامها في ظلم أهلها، فكرر ذلك بقوله: ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ ﴾، أي النفس الظالمة لا تملك ما في الأرض فتفتدي به، ولو ملكته لما قبل في فدائها[2]، وكيف يكون لها ذلك والله مالك ما في السموات والأرض، وليس للعبد ذلك ولا محله هناك، فوجب لهذا المكان (ما) والمراد تقايس ما في الأرض ممّا ملكه الله العباد[3] .

أما الآية الثانية فإنّها تخصصت بـ (من)، لأنّها ناسبت المعنى والمقصود من الآية، وبنت عليه فلم يصح فيه غيرها، لأنّ قبلها ﴿ وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ يونس:65 ، والمعنى لا يحزنك ما يتوعدك به الكفار من القتل وأنواع المكروه، فإنّ القدرة لله تعالى، وهو لا يمنح الكفار قدرة على ما يريدونه منك، بل يعطيك العزة عليهم والغلبة لهم، فإنّه يملك من في السموات ومن في الأرض، ولا قوة لهم إلا به، ولا قدرة لهم إلا من عنده[4]، فاقتضى هذا المكان (من)[5]. وقد وضح أنّ كلّ آية من هاتين الآيتين لا يناسبها غير ما اتصلت به، ولا يمكن على ما تبيّن وقوع واحدة منهما في موضع الأخرى . قال الرازي (604هـ) : « وأما قوله: : ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾ ففيه وجهان:

الأول: أنه تعالى ذكر في الآيات المتقدمة:﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾ يونس: 55، وهذا يدل على أنَّ كل مالا يعقل فهو ملك لله تعالى وملك له، وأما هاهنا فكلمة (من) مختصة بمن يعقل، فتدل على أنّ كل العقلاء داخلون تحت ملك الله وملكه فيكون مجموع الآيتين دالًا على أنَّ الكل ملكه وملكه.

والثاني: أنّ المراد من (من في السماوات) العقلاء المميزون، وهم الملائكة والثقلان وإنما خصهم بالذكر ليدل على أنّ هؤلاء إذا كانوا له وفي ملكه فالجمادات أولى بهذه العبودية فيكون ذلك قدحاً في جعل الأصنام شركاء لله تعالى» [6].

المطلب الثالث : متشابه الحروف الثلاثية

بين إلى و على:

قال تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ البقرة: 136 ، وقال سبحانه : ﴿قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ آل عمران: 84، فجاء بـ (إلينا) في سورة البقرة، في حين

(1) ينظر : ملاك التأويل 1/ 277 .
(2) ينظر : إرشاد العقل السليم 4/ 161 .
(3) ينظر : ملاك التأويل 1/ 620 .
(4) ينظر : نظم الدرر 3/ 462 .
(5) ينظر : درة التنزيل 115 .
(6) مفاتيح الغيب 17/ 105 .

أتى بلفظة (علينا) في سورة آل عمران.

والذي يبدوا أنَّ قوله في سورة البقرة (وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا) سبقه قوله: (قُولُوٓاْ) ، وهو أمر للرسول ومن اتبعه على التشريك، وأخبر سبحانه أنّ الجميع قالوا ذلك، وإذا كان الأمر للجميع وجرى على حقيقته فإنّما أنزل إليهم لأنّ المنزّل عليه حقيقة هو الرسول لا المؤمنون، وإذا قلنا بإنزاله على المؤمنين فبطريق المجاز، كما أنّا إذا قلنا: أنزل إلى الرسول، لم يقع موقع : أنزل عليه، وإن كان كل منهما جائزاً[1]، إلا أنّا أخذنا الكلام على أن لا تضمين ولا تقدير فإنّما نقول أنزل على الرسول، وأنزل إلى المؤمنين، مع فصاحة : أنزل إلى الرسول، ووروده في القرآن .

فلمّا قال في سورة البقرة : (قولوا) وأمر الجميع، ناسبه (إلينا) فضلاً عن أنَّ لفظة (على) تفيد الاستعلاء[2]، أي كون الشيء فوق الشيء، ومجيئه من علو، فهو متخصص من الجهات الست كلّها جهة واحدة هي الفوق في حين أنّ (إلى) تفيد الانتهاء[3]، فيكون المنتهي من الجهات الست كلّها، فإن توجه نحو الشيء شيءٌ من عن يمينه أو عن شماله أو قدّامه أو من ورائه أو من فوقه أو من تحته، فإنّه إذا بلغه يقال فيه: انتهى إليه، فلا يتخصص (إلى) بجهة واحدة كما يتخصص (على)[4]، فقوله تعالى : (قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ) أخيرت فيها (إلى) لأنّها مصدرة بخطاب المسلمين، فوجب أن يختار له (إلى) ، ثمّ جعل ما عطف عليه على لفظة بحق الأتباع وإن صح فيه معنى الانتهاء، فالمؤمنون لم ينزل الوحي في الحقيقة عليهم من السماء، وإنّما أنزل على الأنبياء، ثمَّ انتهى من عندهم إليهم، فلمّا كان (قولوا) خطاباً لغير الأنبياء بل لأممهم، كان اختيار (إلى) أولى من اختيار (على) [5].

أمّا سورة آل عمران فإنّه ابتدأها بـ (قل) ، والخطاب للرسول ﷺ ، فكانت (على) أحق بهذا الموضع، لأنَّ الوحي أنزل عليه، وفي لفظ (أنزل) دلالة على انفصال الشيء من فوق، ثمَّ انتهى من عندهم إليهم أسفل[6]، فناسب السياق لفظة (على) وجاءت على ما يجب في موضعها .

المبحث الثاني

الحروف غير المتكافئة

المطلب الاول : متشابه حرف أحادي مع حرف ثنائي بين اللام و أنْ :

قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ التوبة : 32 وقال عز وجل : ﴿يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ الصف: 8.

فجاء بـ (أن) في آية التوبة، وباللام في آية الصف .

فأمّا آية الصف وتعليق الإرادة فيها بالإطفاء مع زيادة الكفر، فإنَّ للنحويين في ذلك مذهبين [7]:

أحدهما : أنَّ اللام توضع موضع (أن) لكثرة ما يقال : زرتك لتكرمني، فاللام لما شهرت بنيابتها عن (أن) وقيامها مقامها في الموقع، كان تعدي الفعل إليها مع ما بعدها من الفعل كتعديه إلى (أنْ) وما يتضمنه من المستقبل، فيقال : قصدت أن تفرح، وقصدت لتفرح وهذا ألا يكون إلا على سبيل التوسع دون الحقيقة .

(1) ينظر : روح المعاني 1/ 392 .
(2) ينظر: الأزهية في علم الحروف 202، والجنى الداني 444.
(3) ينظر : جواهر الأدب 203 ، ورصف المباني 80 .
(4) ينظر : درة التنزيل 19 .
(5) ينظر : بصائر ذوي التمييز 1/ 148 .
(6) ينظر : ملاك التأويل 1/ 239 .
(7) ينظر : رصف المباني 114، والجنى الداني 238 .

والثاني : أنَّ الفعل تعدى إلى مفعول محذوف، واللام الداخلة على الفعل المنصوب تكون مبينة العلة التي لها أنشئ الفعل[1]، واللام في الآية على هذا الوجه، وهو أن المراد : يريدون أن يكذبوا ليطفؤا نور الله بأفواههم؛ لأنَّ قبلها:﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ﴾ الصف:7، فقوله (يُرِيدُونَ) لم يذكر مفعول ما يردونه اعتماداً على ما نبه عليه بقوله: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ﴾ الصف:7.

فكأنه قيل : يريدون افتراء الكذب ليطفؤا نور الله.

وعلى هذا قول الشاعر[2]:

أردت لكيما يعلم الناس أنّها

سراويل عادي ثمنه ثمود

أي: أردت أن انزع سراويلي ليعلم الناس إذا رأوا طولها أنّها على عادي القامة ثمودي الخلقة، فلهذا خُصّت الآية بدخول اللام على (يطفؤا) .

أمّا آية التوبة فالمراد من الإطفاء بالأفواه، لما دلّ عليه ما تقدم من قوله : ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ﴾ التوبة: 30، فالإرادة معدة لإطفاء النور بأفواههم، وهو ما حكى الله عنهم أنّه قولهم بأفواههم، أي يريدون أن يدفعوا الحق بالباطل من أفواههم، والحق يسمّى نور الله، لأنَّ حججه وبراهينه تضيء لطالبه فيهتدي بها إليه[3]، والباطل هو قولهم بأفواههم، وهو ما أخبر الله تعالى به قبل عن اليهود والنصارى، أي هو قول لا حقيقة له، وبمثله لا يدفع الحق، وبالأفواه لا يطفأ هذا النور كما يطفأ السراج، لأنّ هذا النور وإن أشبهه في أنّه يهدي ويبين الحق من الباطل، فهو بخلافه في الامتناع من الإطفاء كما يتهيأ ذلك في السراج[4].

فكان دخول (أنْ) في هذا المكان أحق الأوصاف التي اقتضاها المعنى والذكر المتقدم في الآية الكريمة.

بين الباء و من:

قال تعالى : ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ البقرة : 234 ، وقال جل وعلا : ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ﴾ البقرة: 240، فخصص الآية الأولى بالباء والتعريف، في حين جاءت الآية الثانية بـ(مِنْ) والتنكير .

والذي يبدو أنَّ الآية الأولى قد جاء بها قوله: (فَإِذَابَلَغْنَأَجَلَهُنَّ) أي: باستيفائهنَّ أربعة أشهر والعشر، والمراد يخرجن عند ذلك من تمام الأجل المضروب لعدتهنَّ، فهذا كله بما تقتضيه (إذا) قد أحرز أمداً محدوداً معلوم القدر معروف الغاية يتقيد به خروجهن، فناسبه الباء والتعريف. ويكتمل معنى الآية فيما بعدها: فلا جناح عليكم في أن يفعلن في أنفسهنّ بأمر الله، وهو ما أباحه لهنّ من التزويج بعد انقضاء العدة، فالمعروف هنا أمر الله وهو فعله وشرعه الذي شرّعه وبعث فيه عباده، فجاء المعروف هنا مقترناً بالباء معرفاً[5].

أما الآية الثانية فإنّه لم يذكر فيها بلوغ الأجل، والتقييد الحاصل من (إن) ليس لبلوغ الأمد المضروب قبل، وهو الحول، فهو يختلف عن التقييد الحاصل من الظرف المستقبل الذي هو (إذا) إذ ليست (إن) كـ(إذا)، ألا ترى أنّك تقول : أقوم إذا قام زيد، فيقتضي هذا أنَّ قيامك مرتبط بقيامه ولا يتقدم عليه ولا يتأخر عنه، بل يعاقبه على الاتصال. أما إذا قلت : أقوم إن قام زيد، فأقصى ما يقتضي هذا أنَّ قيامك بعد قيامه وقد يكون عقبه وقد يتأخر

(1) ينظر : مغني اللبيب 1/ 215 .
(2) لم اعثر على قائله ، ينظر : ملاك التأويل : 1/ 588 .
(3) ينظر : روح المعاني 5/ 277 .
(4) ينظر : درة التنزيل 106 – 107 .
(5) ينظر : بصائر ذوي التمييز 1/ 155 .

عنه(1)، فإنّما يحصل من (إن) التقييد بالاستقبال دون اقتضاء تعقيب أو مباعدة. فحصل في ظاهر اللفظ إبهام من جهتين:

إحداهما كون الأجل لم يذكر بلوغه، **والثانية** ما تقتضيه (إن) على ما بيّن فناسبه التنكير في قوله: (مِن مَّعۡرُوفٍ). فأتى كل من الآيتين على ما ناسبهُ في اللفظ. قال السمين الحلبي : « وجاء في هذه الآية (مِن مَّعۡرُوفٍ) نكرة مجرورة بـ (من) ، وفي الآية قبلها (بالمعروف) معرفاً مجروراً بالباء، لأنّ هذه لام العهد، كقولك : رأيت رجلاً فأكرمت الرجل، إلا أنَّ هذه وإن كانت متأخرة في اللفظ فهي مقدمة في التنزيل »[2].

بين اللام و أل:

قال تعالى: ﴿وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ الأعراف: 169 ، وقال عز وجل: ﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَواْۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ يوسف: 109 .

فجاءت الآية الأولى بأل التعريف، في حين جاءت الثانية باللام، والذي يبدو أنّ كل واحدة من الآيتين مبني على ما قبله، فآية الأعراف سبقها قوله: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ﴾ الأعراف: 169، فقوله: (هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ) إنّما يعني هذا المنزل الأدنى وهو والدار الدنيا بمعنى واحد، فلمّا جعل الأدنى وصفاً للمنزل ذكر الدار الآخرة بعده فجعل الدار موصوفة والآخرة صفة لها، وكل يؤدي معنى واحداً، إلا أنّه يختص ببعض اللفظ دون بعض لمشاكلة ما قبله وموافقته له[3] .

أمّا الآية الثانية فسبقها قوله: ﴿أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأۡتِيَهُمۡ غَٰشِيَةٞ مِّنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوۡ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ يوسف: 107، والساعة هي الساعة الآخرة وهي القيامة، فلمّا ذكرت الدار أُضيفت إليها، فكأنّه قال: ولدار الساعة الآخرة خير، وسبقها في الآية نفسها قوله: « فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم» ومعناه : فيعلموا كيف حال من قبلهم وأنَّ الدارُ الآخرةِ خيرٌ لهم، فاللام هي التي تدخل على المبتدأ فتعلق الفعل، والفعل هو: فيعلموا لدار الآخرة خيرٌ، كما تقول : علمت لزيد أفضل من عمرو، وأمّا قوله : والدار الآخرة في آية الأعراف فلم يتقدم عليها ما يقتضي اللام(4) بل تقدّم قوله: ﴿أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ الأعراف: 169، من غير أن يتقدمها ما يجري مجرى التوكيد والقسم الذي يتلقى باللام[5]، فتقدم كلّ آية ما كان المذكور بعده أليق به.

بين اللام و مِنْ:

قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ المائدة: 9، وقال عز وجل: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴾ الفتح: 29.

فتخصصت آية المائدة باللام في (لهم)، في حين جاءت بـ(من) في آية الفتح.

والذي يبدوا أنَّ آية المائدة تقدّمها خطاب المؤمنين في قضيتين[6] :

الأولى منهما:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾ المائدة:6، وما تضمنته الآية من أحكام الوضوء إلى قوله:

(1) ينظر : ملاك التأويل 1/ 271 .
(2) الدر المصون 1/ 592 .
(3) ينظر : نظم الدرر 3/ 145 .
(4) ينظر : بصائر ذوي التمييز 1/ 260 .
(5) ينظر: درة التنزيل 134.
(6) ينظر : درة التنزيل 47 .

(لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ). أمّا القضية الثانية فتتعلّق بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ﴾ المائدة: 8، وقد وقع فيما بين هاتين الآيتين قوله عز وجل: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ﴾ المائدة: 7، ولم يقع أثناء هذه الآي إشارة إلى غيرهم ولا انجر معهم أحد ممّن سواهم، فلم يحتج إلى تخصيص الخطاب الوعدي فأطلق القول ولم يقيد بأن يقال: (منهم)، ولا عملت (وَعَدَ) في مفعولها الثاني كما جاء ذلك بقوله : (لهم) على الابتداء والخبر ليكون أبلغ في استحقاقهم ذلك[1].

فلمّا قال تعالى : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾، عُلِمَ أنّهم وعدوا بما هو حق منصوب، كأنّه قال : وعد الله الذين آمنوا مغفرة، ومثله قول الشاعر[2]:

وجدنا الصالحين لهم جزاءً

وجناتٍ وعيناً سلسبيلاً

كأنّه قال: وجدنا للصالحين جزاءً وعطف على موضع : وجنات وعيناً، فاللام في (لهم) داخلة على ضمير الصالحين فكأنّها داخلة عليهم، وكأنّه قال : وجدنا للصالحين جزاء، وعطف على موضع الجملة التي هي : لهم جزاءً، منصوباً إذ كان موضع الجملة موضع نصب.

أمّا آية الفتح فأعقبها بالتمثيل الجاري في ذكر الزرع في قوله تعالى: ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ الفتح: 29، وقد شمل الكل عموماً قوله: (وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ) بظاهر الإيمان إذ كانوا يتظاهرون بما وصف به المؤمنين، فجيء هنا بالوعد، مخرجاً منه مَن كان يتظاهر بالإيمان وليس من المؤمنين، فقيل: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم﴾ الفتح: 29، فجيء بقوله : منهم، ليحرز هذا المعنى الجليل، فـ(من) على هذا للتبعيض، في حين أنّه لم يذكر قبل آية المائدة إلا المخلص في إيمانه، فلذلك لا مجال للتحرز هنا إلا بقوله: (مِنْهُم)؛ لأنّهم مستوون غير مختلفين في ظاهر ولا باطن بخلاف آية الفتح، وهي متعلقة بالذين آمنوا وعملوا الصالحات، وهي في تمامها، ولم يكن هناك ما ترتفع به مغفرة، فتعدى الفعل الذي هو (وَعَدَ)، فجرى على الأصل في نصب المفعول به[3]، فورد كل من الآيتين على ما يناسب الأسلوب اللائق به.

وذهب الفيروزآبادي (817هـ) إلى موافقة ما جاء للسورتين من الرفع والنصب لفواصل الآيات، ولعلَّ هذا جزء صغير من روعة السياق ومناسبة كل أسلوب لحالته الإعرابية[4].

المطلب الثاني : متشابه حرف أحادي مع حرف ثلاثي

بين إنَّ و الواو:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ النساء: 36، وقال عز وجل: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ الحديد: 23.

فأتى بـ(إنَّ) في آية النساء، وبالواو في آية الحديد، والسبب في ذلك أنَّ الواو في أكثر أحوالها لا تكون أجنبية عمّا قبلها من الكلام[5]، بخلاف (إنَّ) فإنَّها أجنبية عمّا قبلها من الكلام[6]، وضعت لابتداء الكلام، ففي سورة الحديد جاء الكلام متصلاً بعضه ببعض فذكره بالواو، حيث قال: ﴿وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ الحديد:

(1) ينظر : الكشاف 1/ 601، والدر المصون 2/ 499.
(2) لم اعثر على قائله ، ينظر : درة التنزيل: 48 .
(3) ينظر: ملاك التأويل 1/ 374.
(4) ينظر : بصائر ذوي التمييز 1/ 181.
(5) ينظر: رصف المباني 410 .
(6) ينظر: الجنى الداني 228 .

23، والاختيال والفخر إنما يكون من الفرح[1]، فجمع بينهما بواو.

أمّا سورة النساء فقد تمَّ الكلام فيها لأنَّ في الأوّل أمرهم بالعبادة وترك الشرك والإحسان بالوالدين وذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والجار وملك اليمين، وقد تمت هذه الأوامر ثمَّ ابتدأ بقوله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾ النساء: 36، فتخصص كل مكان بالوصف الذي ناسبه في السياق.

بين السين وسوف:

قال تعالى: ﴿فَقَدۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَسَوۡفَ يَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ الأنعام: 5، وقال عز وجل: ﴿فَقَدۡ كَذَّبُواْ فَسَيَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ الشعراء: 6.

فتخصصت آية الأنعام بـ (سوف)، في حين أتت آية الشعراء بالسين، والذي يبدوا أنَّ آية الإنعام جاءت في مقام بسط وإطناب[2] لحمده سبحانه وانفراده بالخلق والإيجاد، فقال تعالى : ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾ الأنعام: 1، فذكر سبحانه خلق السموات والأرض وخلق الظلمات والنور، ثمَّ ذكر خلقهم من طين.

فلمّا تقدّم هذا الإطناب والإسهاب ناسبه ما أتبع به من قوله تعالى: ﴿فَقَدۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَسَوۡفَ يَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ الأنعام: 5، فناسب الإطناب الإطناب، فأشبعت الألفاظ مستوفية لمعناه[3].

أمّا آية الشعراء فجاء قبلها قوله تعالى : ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ الشعراء: 2، ثمَّ اعترض بتسلية نبيه ﷺ فقال: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ الشعراء: 3، وليس هذا المعترض به مما ذكروا به، ثمَّ قال بعد: ﴿إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ الشعراء: 4، وهذا راجع إلى تسليته عليه السلام، فلم يبق مجرداً لتذكيرهم سوى قوله تعالى: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ الشعراء: 2.

وما بعده من وعيدهم وتهديدهم بقوله : ﴿وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ﴾ الشعراء: 5، وهذا إيجاز فناسبه ما نيط به من قولهم: ﴿فَقَدۡ كَذَّبُواْ فَسَيَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ الشعراء: 6، إيجازاً لإيجاز القول[4]، لمّا بينت هذه الآية على الاختصار والاكتفاء بالقليل من الكثير فجعل فيها بدل (سوف) السين وحدها[5]، وهي مؤدية معناها.

بين الفاء وثمّ:

1 – قال تعالى: ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ الانعام:11، وقال جل ثناؤه : ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ النمل: 69، فجاء بـ(ثم) في آية الأنعام، في حين جاءت الفاء في آية النمل.

أمّا آية الأنعام فإنّها افتتحت بذكر خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور، وإنّما ذكر هذا من الخلق الأكبر ليعتبر بذلك فإنَّه أعظم معتبر وأوسعه[6]، قال تعالى: ﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ﴾ غافر: 57، فكأن الآية في قوّة أن لو قيل: سيروا في الأرض فاعتبروا لخالقها، وكيف دحاها لكم وذللها لسكناكم، وجعل فيها رواسي أن تميد بكم، وفجر فيها الأنهار

(1) ينظر: درة التنزيل 30 .
(2) ينظر : روح المعاني 4/ 89 .
(3) ينظر: بصائر ذوي التمييز 1/ 189.
(4) ينظر: درة التنزيل 57.
(5) ينظر: ملاك التأويل 1/ 412.
(6) ينظر : الجامع لأحكام القرآن 6/ 254.

إلى عجائب ما أودع فيها، وكيف جعل السماء فوقها سقفاً محفوظاً بغير عماد، وزيّنها بالنجوم لتهتدوا بها في الظلمات، وجعل الشمس والقمر حسباناً وضياءً وزينة للسماء الدنيا، وكيف محا آية الليل لمصلحة العباد، وجعل آية النهار مبصرة، إلى ما لا يحصى من منافعها وعجائبها لمن منح الاعتبار[1]، ثمَّ انظروا عاقبة من كذب ونبه فلم يعتبر، فعطف هذه الآية بـ (ثم) المقتضية مهلة الزمان حيث يراد ذلك من تفخيم الأمور وتفاوت المنظور، وتجريد الأمر ممّا قبلها وبعدها، فليس موضع تعقيب بالفاء[2]، إذ لم يرد أن يكون سيرهم لمجرد الاعتبار بمن كذب، فأخذ بتكذيبه فقط، بل الضربين مما سبق ذكره، وهو أشقى دلالة وقصدًا من آية النمل فلم يجعل النظر واقعاً عقب السير متعلقاً وجوده بوجوده، لأنّه بعث على سير بعد سير لما تقدم من الآية التي تدل على انه تعالى حداهم على استقراء البلاد ومنازل أهل الفساد، وأن يستكثروا من ذلك ليروا أثراً بعد أثر في ديار بعد ديار قد عمَّ أهلها بدمار، لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾ الأنعام: 6، ثمَّ قال: ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ الأنعام: 6، ثمَّ ذكر في قوله: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ الأنعام: 6، يعني قروناً كثيرة قبلهم أهلكناهم ثمَّ قال: ﴿وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ الأنعام: 6، فدعا إلى العلم بذلك بالسير في البلاد ومشاهدة هذه الآثار، وفي ذلك ذهاب أزمنة كثيرة ومدد طويلة تمنع النظر من ملاصقة السير، كما قال في المواضع الأخر التي دخلتها الفاء، لما قصد من معنى التعقيب واتصال النظر بالسير[3].

(1) ينظر : تفسير البحر المحيط 4/ 85.
(2) ينظر : الدر المصون 3/ 16.
(3) ينظر: مفاتيح الغيب 12/ 135، وإرشاد العقل السليم 3/ 114.

أمّا آية النمل فدلّت على أنَّ السير يؤدي إلى النظر[4]، فيقع بوقوعه وليس كذلك (ثمَّ)، فالفاء هنا وقعت في الجزاء، فلم يتقدم الآية ما يحدو على السير الذي حدا عليه فيما قبلها[5]، فلذلك خصّت بالفاء التي دلّت على عدم المهملة والتراخي فيما بين السير والنظر[6]، فجاء كل حرف على ما اقتضاه السياق.

2 – قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾ الكهف: 57، وقال عز وجل : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ السجدة: 22. فاستعملت الفاء في سورة الكهف، في حين استعملت (ثمَّ) في سورة السجدة.

وذلك لأنَّ الفاء وثمَّ مشتركان في أنّ ما بعدهما في اللفظ متأخّر عمّا قبلهما في المعنى،، ومختلفان في أنَّ الفاء قرب ما بعدها ممّا قبلها وفي (ثُمَّ) تراخياً عنه وبعداً[7]، فكان استعمال الفاء في سورة الكهف أولى واستعمال (ثُمَّ) في سورة السجدة أحق وأحرى، وذلك أنَّ ما في سورة الكهف في ذكر قوم يستدعون إلى الإيمان ولم تختم أعمالهم بالكفر لقوله تعالى: ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا﴾ الكهف: 56، فكأنَّهم عقبوا التذكير بآيات الله بالإعراض، وقبولهم للدين وإقبالهم عليه مرجوان منهم، فضلاً عن أنَّ سورة

(4) ينظر: الكشاف 2/ 8.
(5) ينظر : بصائر ذوي التمييز 1/ 189 – 190 .
(6) ينظر : درة التنزيل، 59، وملاك التأويل 1/ 423.
(7) ينظر : جواهر الأدب 28، ورصف المباني 384، والجنى الداني 121، ومغني اللبيب 1/ 119 .

الكهف مكية والخطاب فيها من أولها إلى هذه الآية لم يخرج إلى غير العرب[1]، أعني أنَّه لم يتعرض فيها إلى إخبار بحال غيرهم إلا ما عرفوه من قصة أهل الكهف وخبرهم، وهو من سؤالات قريش بتنبيه يهود إياهم حسبما وقع في الحديث، فقوله في الآية المذكورة : « بآيات ربه» وإن كان اللفظ مقتضياً كلَّ ما يسمى آية إلا أنَّ آية القرآن أوضح ما قصد هنا، ويشهد لذلك قوله عز وجل: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ [الكهف: 57]، وما تقدّم الآية من قوله: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الكهف: 54]، وقوله: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ﴾ الكهف: 55، والحجة قائمة عليهم عقب سماعهم وتدبرهم(2)، فورد بالفاء المقتضية التعقيب على ما يجب، وربما يكون ذكر إرسال الرسل عليهم السلام في سورة الكهف سبباً في ورودها بفاء التعقيب كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ۖ﴾ الكهف: 56، فذكر إرسالهم وتكذيب قومهم إياهم، وإنّما وقع تكذيب المكذبين عند دعاء الرسل إيّاهم معقباً به دعاءهم[3]، فجرى مع هذا وناسبه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ الكهف: 57، لأنّهم إنما أعرضوا عقب دعاء الرسل إياهم وعند جدالهم المذكور في قوله: ﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ (الكهف 56)، إنّما ارتكبوا الجدال جوباً للرسل ليدحضوا الحق بباطلهم[4]، فالتعقيب هنا بيّن، فورد بالفاء.

النتائج:

1. تتحدد دلالة حروف المتشابه في القرآن الكريم من خلال سياق الموقف.

2. إنَّ أكثر الحروف وروداً في متشابه القرآن هي الحروف الأحادية، وهذا يدل على الإيجاز والاختصار، والتي تتناسب مع بلاغة القرآن.

3. ورد حرفي (الفاء و الواو) كثيراً في آيات المتشابه، وهذا يدل على أهمية العطف والاستئناف في السرد القرآني. إذ إنَّ جميع ما ورد يصور مشاهد مختلفة من القصص القرآني ومن زوايا متنوعة، وهو ما يشير إلى التصوير الثلاثي الأبعاد للقصة القرآنية. مما يعطي المرونة في التعبير والانتقال عبر هذه المشاهد التي لا يحس قارئها بملل أو سأم من تكرارها.

4. كانت الحروف المتكافئة أكثر عدداً من تلك غير المتكافئة، وهذا يدل على بداعة وروعة الأسلوب اللغوي في القرآن الكريم، إذ أنّه أتى متناسقاً متوازناً

التوصيات:

1 – دراسة الحروف التي قمنا باستقصائها دراسة بلاغية نقدية أسلوبية.

2 – دراسة هذه الحروف وأثرها في تماسك النص القرآني بالألسنية الحديثة.

3 – دراسة النصوص القرآنية التي تحوي هذه الحروف بنظرية النص الحديثة وفقًا لنظرية دوغلاس في نظرية النص.

المصادر

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم .
- أبحاث في أصوات العربية ، د - حسام سعيد النعيمي، ط1 ، دار الشؤون الثقافية العامّة ، بغداد 1998 .
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، أبو السعود محمد بن محمد (951هـ) ، ط4، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان 1994 .

(1) ينظر : نظم الدرر4/ 483.
(2) ينظر : بصائر ذوي التمييز 1/ 300.
(3) ينظر : درة التنزيل 157.
(4) ينظر : ملاك التنزيل 2/ 572.

● الأصوات اللغوية ، د - إبراهيم أنيس ، ط4، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة 2007.
● الإنتصاف ، أحمد بن المنير الإسكندري ،ط5، دار الكتب العلمية ، على هامش الكشاف ، لبنان 2009.
● البحر المحيط ، أبو حيان محمد بن يوسف (745هـ)، ط2، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان 2007.
● البلاغة الصوتية في القرآن ، محمد إبراهيم شادي ، ط1، مطابع مختار الإسلامي 1988.
● الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (671هـ) ، ط2، دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان 2005.
● الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني (392هـ) ، تحقيق محمد علي النجار ، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد 1990.
● الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، أبو العباس شهاب الدين بن يوسف السمين الحلبي (756هـ) ، تحقيق وتعليق الشيخ علي محمد معوض وآخرين ، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان 1994.
● الدلالية الصوتية في اللغة العربية ، صالح سليم عبد القادر ، منشورات جامعة سبها ، ليبيا 1998.
● دور الكلمة في اللغة ، ستيفن أولمان ، ترجمة د - كمال محمد بشر ، ط2، القاهرة 1975.
● ديوان حميد بن ثور الهلالي ، دار الكتب المصرية 1951.
● ديوان رؤبة بن العجاج ، عناية وتصحيح وليم بن الورد البروسي ، دار ابن قتيبة 1434هـ .
● روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، أبو الفضل شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي (1270هـ) ، ضبطه وصححه علي عبد الباري عطية، ط3، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان 2009.
● علم الأصوات العام ، بسّام بركة ، مركز الإنماء القومي ، بيروت - لبنان 1988.
● فقه اللغة ، د. حاتم صالح الضامن ، دار الحكمة للطباعة والنشر ، ط1 ، بغداد 1990 .
● في ظلال القرآن ، سَيّد قطب ، ط34، دار الشروق 2004.
● كتاب العين ، ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي (ت170هـ) ، تحقيق : د. مهدي المخزومي و د. ابراهيم السامرائي ، ط1 ، دار الرشيد للنشر والتوزيع - بغداد 1980 .
● الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (538هـ) ، رتّبه وضبطه وصححه محمد عبد السلام شاهين ،ط5، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان 2009.
● لسان العرب ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري (711هـ) ، حقّقه وعلّق عليه ووضع حواشيه عامر أحمد حيدر ، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان 2005.
● المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (546هـ)، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد ، ط2، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان 2007.
● مفاتيح الغيب ، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي (604هـ) ، ط3، دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان 2009.